العدد (2234) السنة التاسعة - السبت (27) آب 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

من بن طولون إلى فريد شوقي

ثلاثة ملايين صائم على موائد الرحمن

مائدة خارج مقام السيدة زينب

- الذي يفطر على مائدتي فيفي عبدة وشيريهان يحصل على ٢٠ جنيهاً مصرياً
- قبل الثورة كانت الموائد حلبة سباق بين السياسيين ورجال الاعمال المقربين من الحزب الحاكم
- ١٣,٥٥٥ مائدة رحمن تقام يومياً في شهر رمضان المبارك

(أنني لم أجمعكم حول هذه الأسمطة إلا لأعلمكم طريق البر بالناس، وأنا أعلم أنكم لستم بحاجة إلى ما أعده لكم من طعام وشراب، ولكني وجدتكم قد أغفلتم ما أحببت أن تفهموه من واجب البر عليكم في رمضان، ولذلك فأنني أمركم أن تفتحوا بيوتكم وتمدوا موائدكم وتهيئوها بأحسن ما ترغبون لأنفسكم ليتذوقها الفقير المحروم..) هكذا خاطب الأمير بن طولون حاشيته من وزراء وتجار في منتصف القرن التاسع الميلادي، بعد أن دعاهم إلى مأدبة إفطار في الأول من رمضان فتفاجأ الوزراء والتجار بوجود أعداد كبيرة من الفقراء على نفس المائدة، ومن لحظتها تبارى التجار والوزراء على إقامة موائد الرحمن في ذلك الشهر الكريم لتستمر الظاهرة الرمضانية إلى يومنا هذا.. فكانت خطبته تلك بمثابة حجر الأساس لموائد الرحمن.

القاهرة: يوسف المحمداوي - تصوير: ماجد موجد

في مصر راقصات لهن موائد خاصة

على طول الطريق المنطلق من الزمالك باتجاه مركز العاصمة ثم إلى حي السيدة زينب في مصر القديمة حيث ينتظرني صديقي الشاعر ماجد موجد، وأنا التفت يمينا ويسارا مذهولاً بهيبة وكثرة الموائد المنتشرة على الطريق، والسائق بكل تباهي يذكر لي.. أسماء أصحاب الموائد.. سواء كانت جمعيات إنسانية أو حكومية أو أسماء لفنانين وفنانات عكفوا على إقامة تلك الموائد.

وذكر لي بأن أول من أقامها من الفنانين هو الممثل الراحل فريد شوقي الذي لم تنقطع مأدبته في حي العجوزة حتى بعد رحيله إذ عكفت زوجته سهير ترك وابنته رانيا على إقامة تلك المائدة إلى يومنا هذا.. وهناك راقصات وفنانات لهن موائد خاصة مثل الفنانة شيريهان التي تديم إقامة مائدتها منذ ١٥ عاما، وكذلك الراقصة فيفي عبده والراقصة دينا وغيرهم من الفنانين والفنانات.

الأزهر يبارك تلك الموائد

قلت للسائق.. ألم يعترض الأزهر على تلك الموائد؟ السائق الذي عرفت منه بأنه قبطي، ومع ذلك يحرص على مشاركة الفقراء بموائدهم تلك من خلال ما يقدمه من خدمة لهم سواء من خلال إيصالهم إلى بيوتهم بعد الإفطار أو المساعدة في إعداد طعام المائدة رد علي قائلا: اختلفت فتاوى الأزهر بين رافض لها أو مبارك القائمين عليها سواء كانوا فنانين أو فنانات.. مفتي مصر د. علي جمعة: أشار إلى عدم مقاطعة تلك الموائد التي يقيمها الفنانون وطالب الجميع بمحاسبة النفس والتأكد من نية الأعمال لمعرفة طريقها هل هو حلال أم حرام؟.. في حين ترى الدكتورة آمنة نصير أستاذة العقيدة بجامعة القاهرة علينا احترام الفنانين الذين يقيمون تلك الموائد، وليس مقاطعتهم .. لأننا لو حرمناهم من تلك الظاهرة فنحن ندعوهم الى إسراف المال بما يغضب الله عز وجل، أو من خلال إقامة سهرات وحفلات ماجنة.

موائد من المفخخات

فاجأني السائق بسؤاله الذي جعلني أعود ذارعاً شوارع بغداد وخاصة مناطق الأطراف فيها، بالتأكيد أن موائد الرحمن في العراق أدسم وأكثر لما يمتلكه بلدكم من ثروات، ماذا أقول له؟ هل تكفيه دموعي إجابة، أم أصارحه بحقيقة ما يجري في بلدي وأقول له نعم لدينا موائد يومية يعكف على إقامتها أولياء الأمر في قيادة البلد.. موائد من الأزمات.. والخطابات السياسية موائد من ملفات الفساد.. موائد من الموت بكاتم الصوت او المفخخات، هناك يا أخي القبطي.. الساسة مشغولون في تجويع البلد وإدامة خلو خيام المهجرين من الفرش والطعام وابسط حقوق الإنسان كنا ننتظر من قادتنا الجدد أن لا يجعلونا نتذكر حكومة صدام في شهر رمضان التي هي عبارة عن دجاجة لكل عائلة، لكنهم استطاعوا أن يدفعوا بالضحية صوب الحنين لسياط الجلاد بعد أن أدمنوا وباحتراف معصية الله ومخالفة تعاليمه بحق الإنسان.. الإنسان.

١١٠٠ قدر من جميع أنواع الطعام

تركت السائق هارباً بخيبتي اتجاه باب محطة المترو الذي ينتظرني فيه صديقي ماجد، فقطعنا الطريق من محطة مترو السيدة زينب باتجاه مقامها، ونحن نشق الطريق تملأ العين خيام الغجر عفواً خيام الموائد التي أعدت قبالة المطاعم وفوق الأرصفة طلبت من ماجد أن نصورها، فقال لي يجب أن نستأذن من أصحاب تلك الموائد لأن بعضهم يعتبر ذلك بمثابة الرياء وبالفعل طلبنا منهم ذلك ولم يمانعوا بل ذكر لنا صاحب احدى الموائد وهو المحامي محمود إبراهيم أن اول من أقام تلك الموائد هو الأمير أحمد بن طولون في السنة الرابعة لولايته وازدهرت تلك الموائد الخيرية في حقبة الدولة الفاطمية وخاصة في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي أقامها لسكان المناطق المحيطة بجامع عمرو بن العاص وكان يخرج من قصره ١١٠٠ قدر من جميع أنواع الطعام لتوزع على الفقراء، وأضاف إبراهيم أن طول مائدة المعز كانت تبلغ ١٧٥م وبعرض أربعة أمتار.

وكانت لا تسمى بموائد الرحمن وإنما تدعى باسم دار الفطرة كما واظب على إقامتها المماليك أثناء حكمهم.

١٣،٥٥٥ مائدة رحمن في مصر

أحد العاملين في تلك الموائد وهو السيد محمد أحمد موظف في جامع الأزهر، قال لنا: إن التقرير الحكومي لمركز المعلومات التابع لمجلس الوزراء يشير إلى أن ثلاثة ملايين مصري يتردد على موائد الرحمن التي يصل عددها إلى ١٣،٥٥٥ مائدة، وفقاً للتقرير المذكور أن ٨٧٪ من الموائد تنظم من قبل أفراد بينما حصة المنظمات الخيرية تبلغ ١٣٪ من تلك الموائد وتعتمد تلك المنظمات على تبركات لتجار ومواطنين بالإضافة إلى الدعم الذي تقدمه وزارة التضامن الاجتماعي، ويذكر السيد أحمد أن لجنة الفتاوى بالأزهر تقدر الإنفاق على موائد الرحمن بحوالي مليار جنيه داخل القاهرة فقط ومثلها يصرف ببقية المحافظات المصرية. وأن أكبر مائدة رحمن في القاهرة هي التي تقام بجوار الجامع الأزهر الشريف، حيث تستقطب ٤ آلاف صائم يومياً.

الموائد قبل الثورة أكثر عدداً

فيما بين حسين فرغلي وهو طالب جامعي الفرق ما بين موائد الرحمن قبل ثورة الشباب المصري وبعدها قائلاً: إن الموائد قبل الثورة كانت أكثر عدداً من الآن لأن الكثير من السياسيين ورجال الأعمال والتجار المقربين من الحزب الحاكم كانت لهم موائد معروفة ولها ثقلها في شهر رمضان، مضيفاً أن هناك أكثر من صراع سياسي على تلك الموائد، فتجد هناك -والكلام للسيد فرغلي- مائدة السيد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب في السيدة زينب، وكذلك موائد لرجال الأعمال مثل أحمد عز.. ومحمد أبو العينين، والدكتور زكريا عزمي، وهناك أسماء لرجال أقباط أيضاً يديمون ذلك العمل، وكذلك الموائد التي يقيمها الأخوان المسلمون والتي تتحول في بعض الأحيان إلى ندوات ومؤتمرات. ويشير فرغلي إلى أن غياب تلك الأسماء سوى في السجون أو في الاختفاء عن أنظار الناس أثر على إعداد تلك الموائد مذكرا بأن هناك بدائل عنها من خلال تأسيس جمعيات جديدة تقوم بتوزيع أكياس فارغة مسجلة عليها أرقام تلفوناتها على محال بعض التجار الذين يقومون بملئها بالمواد الغذائية وإيداعها لدى الجمعيات التي تقوم بتوزيعها على الفقراء.

وليمة مجانية في مقام السيدة زينب

دخلنا أنا وماجد مقام السيدة زينب.. وأثناء دورتنا حول المقام تفاجأت بمن يعطيني تمرتين لغرض الإفطار لأن المئذنة صرحت بجوازه بعد أن صرخ مؤذن المقام (الله أكبر..)

وضعت التمرة في فمي وأنا أردد أمام المانح بصوت جهوري (ابتلت العروق وثبت الأجر) إلى الحد الذي يتيقن بأني صائم من الدرجة الأولى فجرني من يدي وأجلسني في زاوية على الأرض.. ثم جاء بنعم الله في شهره.. دجاج، رز، فاصوليا، مهلبية، شربت تمر هندي.. ماء.. فتشاركنا أنا وماجد في وليمة مجانية من موائد الرحمن ونحن نأكل كنا نتقاذف الأسئلة في ما بيننا، لماذا لا نقيمها نحن خاصة وأن أغلب القائمين على العملية السياسية هم من رجال الدين ولديهم الأموال لفعل ذلك.. ثم نجيب أنفسنا على أسئلتنا ونقول هم مشغولون بأنفسهم وبمالهم وعوائلهم وهذا عين الصواب.. المهم لا يهم مادام الأصغاء أبكم..

موائد بنك ناصر الاجتماعي

وأنا عائد إلى محل إقامتي في الزمالك وقريبا من ساحة طلعت حرب في وسط البلد شاهدت سيارة حمل تقوم بتوزيع وجبات غذائية (مسلفنة) على رجال المرور وعمال التنظيف والحرس المتواجدين في ميدان التحرير. سألت أحد أصحاب المحال الذي قام باستلام وجبة طعام من السيارة عن مصدر هذه السيارة، فأجابني بأنها تابعة لبنك ناصر الاجتماعي الذي يقوم بتلك الموائد منذ عام ١٩٦٧، وأضاف صاحب المحل أن البنك هذا العام أتبع خطة جديدة تنفيذاً لرغبة الوزارة، حيث يقوم بتوزيع (شنطة رمضان) بدلاً من إقامة الموائد.. وذلك بتوصيل المواد الغذائية إلى بيوت العوائل المتعففة التي يخجل البعض منها الإفطار في الشارع، فضلاً عن وجود مرضى ومعوقين لا يستطيعون الوصول إلى تلك الموائد، لذلك كان قرار البنك بأن يقوم بتوزيعها على البيوت بدلاً من الإحراج الذي تشعر به تلك العوائل وهي تفطر أمام المارة.

سائح كندي يصوم ويفطر مع الفقراء

تركت صاحب المحل واستقليت سيارة أجرة وفي ذهني ألف سؤال وفي قلبي آلاف الحسرات على جياع بلدي الذي يزخر بثروات هائلة يمكن أن تكون موائد رحمن لجميع دول العالم الإسلامي ولا يمكن أن تنضب، أيقظني السائق وهو يقول لي مازحاً أوصلت الآن أحد السياح الأجانب من مسجد مصطفى محمود حيث كان يفطر هناك... فسألته هل كان السائح مسلماً.. قال لا.. ولكنه ذكر لي بأنه جرب الصيام هذا اليوم وهو سعيد جداً لأنه شارك الفقراء بهذه الظاهرة التي وصفها السائح كما يقول السائق بظاهرة التضامن الإنساني بين الإنسان وأخيه مهما اختلف دينه أو انتماؤه، ويقول السائق إن السائح وهو كندي الجنسية قال لي: كم أتمنى أن تعم هذه الظاهرة أغلب بلدان العالم ليشعر الإنسان بمعاناة أخيه الإنسان.

٢٠ جنيهاً لكل فقير

وذكر لي السائق.. بأنه لا يوجد جامع في القاهرة يخلو من مائدة طعام، وقال: إن الفنانتين فيفي عبده وشيريهان.. فضلاً عن تقديمهما وجبة طعام متميزة.. فهما تقدمان لكل فقير مبلغا قدره (٢٠) جنيها، وذلك لجذب أكثر عدد ممكن من الفقراء لموائدهما..

مضيفاً، بأن بعض الأقباط يحرصون على إقامة تلك الموائد.. منهم البابا شنودة الذي يقيم مأدبة إفطار يدعو فيها الشخصيات العامة وكبار رجال الدين المسلمين وأشهر السياسيين الأقباط الذي كان يواظب على إقامتها هو والدكتور ميلاد حنا.

أربع جهات داعمة

ووفقاً لدراسة قامت بها كلية الآداب في جامعة القاهرة صنفت تلك الموائد إلى أربعة داعمين، الداعم الأول هي الأموال التي تصل من الزكاة والتبرعات التي تحصل عليها الجوامع، و الثاني من أموال الأغنياء، والثالث يتبرع به بعض المواطنين الذين يقومون بطبخ الإفطار بعد صلاة العصر مباشرة ثم جلبه إلى الفقراء.

أما الداعم الرابع فهو الأموال التي تقدمها الحكومة من خلال الموائد التي تعد من خلال بنك ناصر الاجتماعي وأنا أترك السيارة متوجهاً إلى سرير نومي.. تذكرت بيت شعر شعبي للراحل عبد الحسين الحلفي عساه أن يلدغ ضمائر البعض ويشعرها بما يعانيه المواطن بعد ثمان عجاف من التغيير:

يجينه العيد أمس بس مامش هدوم - وهسه اهدوم عدنه وما يجي العيد

وفي داخل المساجد فطور دائم

موائد الرحمن على الارصفة